ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

The concept of the autobiographical charter among its scholars

Esraa Talal Fadhel

***Prof .Dr.**
Ishtar Daoud Mohammed

Department of Arabic language
College of Education for Girls
University of Mosul
Nineveh , Iraq

*** Corresponding author: E-mail :**
ishtar.daod@uomosul.edu.iq

***Keywords*:**
Autobiography,
Autobiographical charter,
contract ،
Philippe Lejeune.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received **8. Aug.2023**
Accepted **22. Oct.2023**
Available online **3.June.2024**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

A B S T R A C T

the reality of the writer's life, and requires the matching between it, the narrator, and the character of the hero as well Therefore, this study aims to shed light on the charter and contract, which is considered one of the characteristics of the autobiography, in order to resolve the controversy of the overlap between it and the types close to it This study was divided into four axes. In the first axis, we focused on (The Autobiographical Charter) in language and terminology. In the second, we talked about (The Charter) by Philippe Lejeune. The third presented the opinions of Western critics on (The Autobiographical Charter), and the last axis came to present (The Autobiographical Charter) according to Arab critics.

© 2024AJHPS, College of Education for Girls, University of Mosul.

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

مفهوم الميثاق السير ذاتي بين دارسيه

إسراء طلال فاضل **أ.د. عشتار داود محمد**

قسم اللغة العربية / كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل

الخلاصة:

يُعدّ الميثاق السير ذاتي بمثابة عقد يبرمهُ الكاتب للقارئ بأن ما يتضمنهُ النص من عناصر سردية له صلة بواقع حياة الكاتب، ويقتضي التطابق بينه وبين الراوي وشخصية البطل أيضاً. لذلك تروم هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الميثاق والعقد الذي يعد خصوصية من خصوصيات السيرة الذاتية.

وجاءت هذه الدراسة في أربعة محاور ركزنا في المحور الأول على (الميثاق السير ذاتي) في اللغة والاصطلاح، وفي الثاني تكلمنا عن (الميثاق) عند فيليب لوجون، والثالث جاء لعرض آراء النقاد الغربيين في (الميثاق السير ذاتي)، وأتى المحور الأخير لعرض (الميثاق السير ذاتي) عند النقاد العرب.

الكلمات المفتاحية: (السيرة الذاتية)(الميثاق السير ذاتي)(العقد)(فيليب لوجون).

- **توطئة**

إن مرونة السيرة الذاتية أولاً، وغياب قواعد التجنيس ثانياً، أدى إلى الخلط والتداخل بين السيرة الذاتية والمصطلحات المجاورة لها منها: المذكرات، واليوميات، والاعترافات، والرواية.

وأدى هذا الخلط بين الأنواع لدى القرّاء وبين الكتاب أنفسهم، إلى دفع الفرنسي (فيليب لوجون) لوضع فواصل وحدود بين تلك الأنواع، عبر ما يعرف بـ (الميثاق السير ذاتي)، وكان هذا الحد بمثابة الحكم والفيصل لمعرفة إذا ما كان النص الأدبي سيرة ذاتية، أم أحد الأنواع القريبة منها.

والميثاق بمثابة إقرار أو عهد أو عقد يبرمهُ الكاتب للقارئ بأن ما سوف يقرؤهُ هو سيرة حياة الكاتب، وما يتضمنهُ النص من شخصيات وأحداث، تنتمي جميعاً للواقع، وتمس الحقيقة.

وقبل الاطلاع على المفهوم الاصطلاحي للميثاق، يجب علينا أن نتعرف على الميثاق في المعاجم اللغوية العربية.

العقد والميثاق في اللغة:

وردت لفظة (العقد) في المعاجم بمعانٍ عدة منها:

عقدتُ الحبل والعهد، والبيع والعقد عكس الحل، والعقدة بالضم موضع العقد، وغيرها من المعاني. (الجوهري،1987، 510/2).

وجاءت لفظة العقد بمعنى العهد والموثق، فالعقد هو "عقد العهد واليمين يعقدهما عقداً، وعقدهما: أكّدهما. (..) وفي حديث ابن عباس المعاقدة: المُعاهدة والميثاق". (ابن منظور، 1993، 296/2-297).

وبهذا حمل العقد مفهوم الموثق و "العهد واليمين، يعقدهما عقداً وعقدهما أكّدهما (...) والعَقْدُ بفتح فسكونٍ: الضمان والعهد، جمعهُ العقود". (الزبيدي،2001، 394-395).

إذن لفظة العقد لها معانٍ عدة، لكن المعنى الأقرب للاصطلاح هو العهد والميثاق الذي يلتزم بهِ الشخص، فالعقد هو العهد الذي يؤخذ من الشخص، لذا يجب عليهِ الالتزام والوفاء بهِ.

وتعود لفظة (الميثاق) إلى جذر (وثق)، وقد أورد صاحب الصحاح إن "الميثاق: العهد، صارت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، والجمع المواثيق على الأصل والمياثقُ والمياثيقُ أيضاً، (..) والموثق: الميثاق والمواثقة: المعاهدة". (الزبيدي،2001، 4/ 1563).

وورد في لسان العرب بمعنى التحالف والتعاهد و "في حديث كعب بن مالك لقد شهدت مع

رسول الله (ﷺ) ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، أي تحالفنا وتعاهدنا". (ابن منظور،1993، 371/10).

وهذا العهد يعد ميثاقاً بينهم، وورد بالمعنى نفسهُ في قولهِ تعالى: "﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ (آل عمران:81) أي أخذ العهد عليهم بأن يؤمنوا (..) بمعنى الاستحلاف، وقولهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾(يوسف:66) أي ميثاقاً". (الزبيدي، 2001، 26/ 450).

وهكذا نرى إن الميثاق لغةً حمل دلالة مشابهة للتي جاءت في مفهوم (الميثاق السير ذاتي) الذي وضعهُ لوجون، وهذا الميثاق قد يكون بين مجموعة من الناس، أو بين شخصين فقط، أو بين الشخص وربهُ، ومن يقدم عليهِ يلتزم بهِ ويتحمل مسؤولية كل ما يرد فيهِ وينفذهُ، تماماً، مثل الميثاق الذي يبرمهُ الكاتب مع القارئ حيال النص إذا ما كان عملاً واقعياً أو تخييلياً.

الميثاق السير ذاتي في الاصطلاح:

ورد تحديد المفهوم الاصطلاحي لـ (الميثاق السير ذاتي) في معجم السرديات، بأنهُ يعني "إقرار المؤلف إقراراً صريحاً لا لبس فيهِ، بأن ما كتبهُ هو صورة مطابقة لحياتهِ، وبأنهُ هو راوي القصة التي أنشأها، وهو الشخصية الرئيسة فيها، وبناءً على هذا الإقرار يدعو المؤلف قارئهُ إلى التعامل مع النص على أنه سيرة ذاتية". (القاضي وآخرون، 2010، 446).

كما إن مصطلح الميثاق يدل على "العقد الذي يبرمهُ المترجم بذاتهِ، لينصّ من خلالهِ على أن وقائع النص وقائع حقيقية، لا تحمل محملاً تخييلياً؛ لأنها متصلة بشخصيتهِ كأشد ما يكون الاتصال". (بو ذراع ومعروف، 2017، 31)، وعلى الرغم من وجود طرق عدة لإيصال الميثاق السير ذاتي، إلا إنها تتفق على "واقعية الحدث أو الخبر أو المعلومة، وفيما عدا ذلك في مجال الصياغة والجماليات، فالأمر متروك لخيال المبدع وقدراتهِ الفنية". (مناصرة، 2010، 101).

من خلال ما تقدم نستشف أهمية وجود الميثاق السير ذاتي بأن:

- يساعد المتلقي في تحديد نوع القراءة وطبيعتها.
- يساعد القارئ في تحديد نوع النص وهويتهِ، فوجودهُ يمكّن القارئ من عدم الرجوع إلى مكونات عدة وعوامل خارجية تساعده في الكشف عن هوية النص، لكون العقد أو الميثاق يَظهَر عبر مكوّنات النص نفسهُ.

- يحقق إعلان الميثاق التطابق بين الكاتب والراوي والشخصية الرئيسة.

الميثاق عند فيليب لوجون:

وضع لوجون حدّاً للسيرة الذاتية في دراستهِ السابقة، وهذا الحدّ كان محط أنظار واهتمام الدراسات التي تناولت السيرة الذاتية، فهو عنده "حكي استعادي نثري يقوم بهِ شخص واقعي عن وجودهِ الخاص، وذلك عندما يركز على حياتهِ الفردية وعلى تاريخ شخصيتهِ". (لوجون، 1994م، 8).

ويعدّ هذا الحدّ ذا مظهر دوغمائي، لكونهِ لا يخضع للطريقة التجريبية الاستقرائية التي كان ينبغي على لوجون أن يتبعها، لذا وقع في مفارقة كبيرة بين النظرية، وبين إثبات هذهِ النظرية على النصوص. فقد أعاد لوجون النظر في هذا الحدّ بعد ما واجههُ من مشكلات أثناء التطبيق العملي، وبعد موجة الانتقادات التي طالت هذهِ النظرية، لأنهُ كان يعتقد أن هذا الحدّ نقطة انطلاق في تفكيك العوامل التي تساعد على كشف النوع، لكنهُ في الواقع أصبح نقطة نهاية أيضاً، وتحوَّلَ إلى سلطة دوغمائية، وذلك عندما عُزِل عن السياق. (لوجون، 1994م، 8-9).

وأعلن لوجون إن بحثهُ "انطلق من تعريف السيرة تعريفاً كلاسيكياً"(الرياحي، 2009، 13). وبعدها أدرك لوجون حجم الخطأ الذي ارتكبهُ في تبنيهِ لهذا الموقف المتعصب، وأدرك أن من يدرس السيرة الذاتية، عليهِ أن يبدأ أولاً بالتحليل بدلاً من الاهتمام بالتعريف وإعطاء الأحكام المتسرعة.

وهكذا أعاد لوجون قراءة الميثاق الأتوبيوغرافي سنة 1972م بعد موجة الانتقادات التي وُجهت لهُ، والحقيقة أن لوجون كان لديهِ سعة صدر مكّنتهُ من إعادة النظر في النتائج جميعها والمناقشات العلمية، عن طريق العثور على مقاييس أكثر دقة، وإعادة توضيح مصطلحات إشكالية النوع، وذلك من خلال عملية تحديد جديدة. (الرياحي، 2009، 13-14).

ويرى لوجون إن مصطلح (العقد) "يحيل على دلالة أكثر نثرية، (..) يستتبع ويفترض وجود قواعد صريحة ثابتة ومعترَف بها لاتفاق مشترك بين المؤلفين والقرّاء، بحضور الكاتب الشرعي الذي يتم التوقيع عندهُ على نفس العقد وفي نفس الوقت، وهو أمر لا يشابه في شيء واقع الأدب ". (لوجون، 1994م، 13).

نفهم من ذلك أن فيليب لوجون فضّل مصطلح (الميثاق) على مصطلح (العقد)، لما في

الميثاق من صور خيالية يستطيع الكاتب أن يستمد الأفكار والقصص من خلالها، أما العقد فيتطلب وجود قواعد صريحة وثابتة ومتفَق عليها، وهذا الأمر لا يتوفر في الأدب، ومن وجهة نظرنا الشخصية نرى إن هذا الفرق بين المصطلحين كان سبباً من بين جملة أسباب دعت لوجون لإعادة النظر في فكرة الحدّ الدوغمائي الذي وضعهُ بين السيرة الذاتية والأنواع الأدبية الأخرى، وذلك لأن العمل الأدبي لا يجب أن يخضع لشروط وأحكام، ومتى ما حُكِم عليهِ بذلك ماتَ وقُتِل الإبداع، فمن الأمور الصعبة التي قد تواجه الأديب إدخالهُ في حيز ومساحة وقالب صغير، ويُطلب منهُ عدم تخطي تلك المساحة والحدود، عندها ينحسر خيال الكاتب في تلك القوقعة الصغيرة، ويصعب عليهِ أن يحلّق في ذلك الفضاء الشاسع من الإبداع والفن، ومن الأقوال الشهيرة في ذلك مقولة المؤلف الأيرلندي (جورج برنارد): "الخيال هو بداية الإبداع، إنك تتخيل ما ترغب فيهِ، وترغب فيما تتخيلهُ، وأخيراً تصنع ما ترغب فيهِ". (عبد القادر، 2021، 32).

وهكذا واظب لوجون على تعديل نظريتهِ، ووقف على كل جديد طرحهُ النقاد في نظرية الميثاق السير ذاتي، وبعد تعديل طفيف أصبح حدّ السيرة الذاتية بالشكل الآتي:

"حكي استعادي نثري يقوم بهِ شخص واقعي عن وجودهِ الخاص، وذلك عندما يركز على حياتهِ الفردية، وعلى تاريخ شخصيتهِ بصفة خاصة". (لوجون، 1994م، 22).

وسوف يعرض هذا الحدّ عناصر تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:

1- **شكل اللغة:**

أ-حكي. ب- نثري.

2- **الموضوع المطروق:** حياة فردية وتاريخ شخصية معينة.

3- **وضعية المؤلف:** تطابق المؤلف الذي يحيل أسمهُ إلى شخصية واقعية والراوي.

4- **وضعية الراوي:**

أ- تطابق الراوي والشخصية الرئيسة.

ب منظور استعادي للحكي.

ومن خلال هذهِ الشروط يتم فصل السيرة الذاتية عن غيرها، وذلك لأنها سوف تجمع كل تلك الشروط بخلاف الأنواع الأخرى التي لا يمكن أن تجمع داخلها تلك الشروط، منها: (المذكرات، اليوميات، السيرة، الاعترافات، الرواية الشخصية ...). والشرطان الثالث والرابع هما الشرطان الأساسيان في تعارض السيرة والأشكال الباقية، لكون التطابق فيهما إما أن يكون أو لا يكون، إذ

لا توجد درجة ممكنة، وكل شك يقود إلى نتيجة سلبية، وكي تكون هناك سيرة ذاتية وأدب شخصي بصفة عامة، يجب أن يحدث التطابق بين المؤلف والكاتب والشخصية الرئيسة، وهذا يعدّ معياراً بسيطاً جداً، من خلالهِ تتحدد السيرة الذاتية والأنواع الباقية المشابهة لها في وقت واحد (لوجون، 1994م، ص22-35) .

ويمكن لهذا التطابق أن يحدث بين اسم الكاتب والراوي والشخصية عبر طريقتين:

1- **طريقة ضمنية:** على مستوى العلاقة بين (الكاتب/ الراوي) بمناسبة ميثاق السيرة الذاتية، وهذا يمكنهُ أن يتخذ شكلين:

أ. استعمال عناوين لا تترك شكاً حول ضمير المتكلم الذي يحيل إلى اسم الكاتب، كـ (قصة حياتي، سيرة ذاتية ...إلخ).

ب. مقطع أولي للنص: يتحمل فيهِ الراوي التزامات أمام القارئ، وذلك بالتصرف بطريقة تجعل القارئ ليس لديهِ أدنى شك حيال ضمير المتكلم الذي يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف، حتى وإن لم يرد هذا الاسم في النص.

طريقة جلية: وهذهِ الطريقة تكمن على مستوى الاسم الذي يأخذهُ (الراوي/ البطل) في المحكي، ويكون هو ذاتهُ اسم المؤلف الموجود على غلاف الكتاب، وعليه يتحقق التطابق عبر هاتين الطريقتين أو كلاهما معاً. (لوجون، 1994م، 39-40).

واستعمال هذهِ الأساليب من الكاتب، يعَدّ من استراتيجيات النص القائمة على جملة من التقنيات والاجراءات والألاعيب التي يوظف النص من خلالها تقنيات الحجب والتبديل والنسخ، وهكذا تتفاوت النصوص فيما بينها من ناحية القوة والشدة، وهنا يكمن السر. فالنص يخفي تلك الاستراتيجيات، ولا يُبلِغ عن معانيهِ ليمنح النص قوةً، وهذهِ القوة تأتي من حجبهِ ومخاتلتهِ وتعميتهِ عن تلك الاستراتيجيات، لا في الإفصاح والبيان عنها. (حرب، 2005، 18).

وغالباً ما يحدث التطابق بين الكاتب والراوي والشخصية في السيرة الذاتية "من خلال استعمال ضمير المتكلم، وهو ما يطلق عليهِ جيرار جنيت (السرد القصصي) الذاتي أثناء تصنيفهِ لأصوات الحكي، وهو تصنيف أقامهُ انطلاقاً من أعمال تخييلية (...) يطلق جيرار جنيت هذا المصطلح على الحكي الذي يكون فيهِ السارد هو البطل في حكيهِ". (لوجون، 1994م، 24-25).

ومقابل هذا الميثاق السير ذاتي وضع لوجون ميثاقاً آخر لكنهُ ميثاق روائي، ويقصد بهِ "عكس الميثاق السير ذاتي، لا يصرّح بهِ الكاتب ولا يلزم بهِ قارئهُ بطريقة تقريرية مباشرة بين

المؤلف والراوي والشخصية، ويحققها عدم حمل المؤلف والشخصية اسم العلم نفسهُ، وثانيهما إثبات المؤلف صلة نصهِ بالتخييل، ويحقق ذلك عادة العنوان الفرعي: رواية"(القاضي وآخرون، 2010، 444). إذن الميثاق الروائي يختلف عن الميثاق السير ذاتي، فالأول يتحقق عبر عدم التطابق، وإثبات ذلك عن طريق الغلاف، أما الميثاق السيري فشرطهُ تحقيق التطابق، وإعلان ذلك عبر الاسم الصريح للكاتب في غلاف كتابهِ.

آراء النقاد الغربيين والعرب في الميثاق السير ذاتي:

يعدّ (جورج ماي) صاحب كتاب (السيرة الذاتية) الذي كان من المنشورات الجامعية الفرنسية عام 1979، من أبرز النقاد الذين كان لهم موقف نقدي في مفهوم الميثاق الذي وضعهُ لوجون، لكن موقفهُ كان متخفياً بعض الشيء، وذلك حينما أكد على أن المنهج السوي الذي ينطلق من التعريفات إنما هو منهج متصل بمجال العلوم الصحيحة (الباردي، 2005، 14).

وأشار في مقدمة القسم الثاني من كتابهِ إلى سبب عدم طرح تعريف خاص للسيرة الذاتية، فقال: "لم نورد تعريفنا الخاص في صدر كتابنا، فمرد ذلك من بعض الوجوه إلى أن تجربة بعض أسلافنا قد دعتنا إلى عدم النسج على منوالهم. فأي نفع يرجى من أن نضيف إلى تعريفاتهم تعريفاً آخر، قد يكون محل جدل، ولعل هذا التعريف يثير على الفور سخطاً لدى قسم من القراء، بقدر ما يثير من الرضى لدى قسم آخر منهم، هذا إن لم يكن السخط أغلب". (ماي، 2017، 173).

ونرى أن جورج ماي عنى بكلامهِ هذا، فيليب لوجون لما أثارهُ تعريف الأخير من لغط كبير، وكذلك نلمح إشارةً نقدية في كلام جورج ماي لتعريف لوجون حين قال: "لعلهُ يحسن بنا أن نستعيض عن مفهوم التعريف الذي فيهِ شيء من التصلب المفرط والتجمد المفرط، أو قل من الجزم المفرط، بمفهوم أكثر مرونة (..)، فما نخسرهُ من دقة في هذا الجانب نغنمهُ صحة في الجانب الآخر". (ماي، 2017، 314).

ويرى جورج ماي أن تعريف لوجون الدوغمائي وضع الكثير من النصوص في أرجوحة الانتماء النصي، لوجود "عناوين كتب يعرفها القارئ، ولكنهُ قد يعتبر انتمائها إلى مجال السيرة الذاتية أمراً غير مسلّم بهِ، وإن لم يكن غير مقبول، فبعضهم يرفض أن يطلق اسم السيرة الذاتية على مذكرات (..)، أو رسائل (..)، أو محاورات (...)، والسبب إن مفهوم السيرة الذاتية يختلف باختلاف القرّاء". (ماي، 2017، 1).

وتحدّث جورج ماي في خاتمة كتابهِ عن القرّاء الذين كانوا متأملين بإيجاد تعريف وحدود

للسيرة الذاتية قائلاً: "إن القرّاء الذين كانوا يعللون النفس بأن يجدوا في هذا الكتاب أحكاماً قاطعةً وحقائق مطلقةً وصفات وقواعد، سيصابون دون شك بخيبة أمل، فبعد أن بحثوا دون طائل في بداية الكتاب عن ذلك الضرب من النظرية التي يطلق عليها اسم التعريف، وجدوا قسمين، ربما بدا لهم أن كل واحد منهما يتفنن على طريقتهِ ليثبت اللاأدرية التي تبسط ظلالها على الكتاب". (ماي، 2017، 312).

والشيء اللافت للانتباه إن كتاب السيرة الذاتية يتكون من قسمين: "الأول يركز على دراسة الحالات الاستثنائية أكثر من تركيزهِ على دراسة القواعد، أي ما شذّ عن قاعدة السيرة الذاتية (...)، أما القسم الثاني فبدل أن يفضي بنا إلى رسم للحدود الصارمة، يؤكد إنه لا يوجد بين السيرة الذاتية والمذكرات، أو بين السيرة الذاتية والرواية خط فاصل بيّن، إن المسألة مسألة نسب ودرجات". (ماي، 2017، 312-313).

إذن نفهم من كلام جورج ماي أن وجود مثل هكذا تعريف يمنع الأدب من حريتهِ، وكذلك يمنع القارئ من أن يكون لهُ موقف من قراءة السيرة الذاتية، والقصد هو أن "نشرك القارئ في المتعة والفائدة اللتين وجدناهما في مطالعتنا السير ذاتية". (ماي، 2017، 174).

لذا يجدر بنا أن لا نترك هذا الأثر أو غيرهُ، لعدم مطابقتهِ للتعريف والتفكير في تنوع الواقع المحسوس وتعددهِ وعدم تجانسهِ، وهو ما يجعلنا ندرك القيمة الأدبية السير ذاتية، وذلك أفضل من اختزال غزارتهِ وإنشاء أنموذج مجرد. (ماي، 2017، 174).

وعلى وفق ما أوردنا من كلام جورج ماي حول الميثاق والتعريف السير ذاتي، نستطيع القول إن موقفهُ كان موقفاً معارضاً لفيليب لوجون، وترجم هذا الموقف في اعتمادهِ "منهجاً استقرائياً تمثل في مئة نصّ، يمكن أن تنتسب إلى السيرة الذاتية، للوصول إلى مقولات تتعلق بالجنس في علاقتهِ بالأجناس الأخرى، وما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو أن مؤلّفه تجاوز المعايير الإنشائية التي سجنت فيليب لوجون وأدخل ظواهر ثقافيّة واجتماعية لتعيين ما يتعلق بهذا الجنس الأدبي الحديث، ولكنّه مع ذلك لم يلزم نفسهُ ولا قرّاءه بتعريف دقيق وحدّ صارم لهذا الجنس الذي يعتبرهُ في طور النشأة". (الباردي، 2005، 14).

وكان لـ (إليزابيث بروس) رأيها الواضح حول ميثاق فيليب لوجون، فقد ذكر جورج ماي إنها "تعزف عن فكرة الميثاق السير ذاتي التي صاغها فيليب لوجون، ليجعل منها أساساً لتعريف جنس السيرة الذاتية، وتفضّل تعريفاً أقل نمطية مدارهُ على فعل كتابة السيرة الذاتية نفسهُ، لا على العلاقة

المفترضة بين المؤلف وقارئهِ المحتمَل". (ماي، 2017، 21).

وكذلك الحال مع (جون ستاروبينسكي) إذ "توصل منذ سنوات قليلة إلى الاستنتاج التالي فقال: ينبغي إذن أن نتجنب الحديث عن أسلوب أو حتى عن شكل مرتبطَين بالسيرة الذاتية، إذ لا وجود في هذا الضرب من الكتابة لأسلوب أو لشكل ينبغي الالتزام بهما"(ماي، 2017، 22).

إذن بروس وستاروبينسكي ينضمان إلى جورج ماي في كونهم جميعاً اعترضوا على الحدّ الدوغمائي الذي جاء بهِ لوجون، وفضلوا وجود تعريف أكثر بساطة يبتعد عن التعقيد والتزمّت في الرأي، لأن ما يتعاملون معهُ هو نصٌ أدبي قابل للانخراط مع الأشكال الأخرى، والأخذ والعطاء منهم ولهم.

وبعد عرض آراء النقاد الغربيين حول الميثاق السير ذاتي، يمكننا أن نقول: إننا مع الحدّ الذي جاء بهِ لوجون بعد تعديلهِ وتهذيبهِ، على وفق ما توصل لهُ من نتائج تطبيقية، ونتاجات إيجابية للمناقشات التي جرت حول مفهوم الميثاق.

الميثاق السير ذاتي لدى النقاد العرب:

تكلم (شكري المبخوت) على الميثاق السير ذاتي والميثاق الروائي، وذكر كيف يتم إظهار الميثاق عبر طريقة ظاهرة وأخرى مضمرة، وتكلم على الميثاق الروائي الذي يكون بدورهِ مخالفاً للميثاق السير ذاتي من ناحية التطابق والإقرار بالطابع التخييلي للنص، وأخيراً ذكر إن هناك مشكلتين تواجهان (العقد) توجبان إعادة النظر فيهِ، وهما (المبخوت، 1992، 15–17):

1. انتماء القارئ إلى ثقافة وتاريخ يحددان قراءتهِ للآثار، مما يعني إعادة النظر في التحول التاريخي للعقد، لأن ما يُقرأ بالأمس أو اليوم على إنهُ سيرة ذاتية، قد يتحول بتحوّل شروط العقد وظروف إنجازهِ.
2. المشكلة الثانية لها علاقة بمدى خلو النصوص السير ذاتي من محددات تجنيسية لنوعها الأدبي، تنبع من طرائق كتابتها وأشكال إنشائها.

وفي النهاية يذكر إنه تبقى الشبكة التي وضعها لوجون قي تعريفه لنسيج النص السير ذاتي مهمة، مهما يكن من أمر، شريطة عدها نقطة انطلاق البحث، وليس نقطة وصول.

إذن كان للمبخوت بعض الملاحظات على تعريف لوجون، لكن مع ذلك يعدّهُ نقطة انطلاق.

أما الدكتور (حسن بحراوي) فيؤيد ما جاء بهِ لوجون، ويُعِدّ الحدّ الذي وضعهُ من التطابق والميثاق كفيلاً بحل المشكلات التي تعترض رأي الباحث في تحديد طبيعة النص السير ذاتي، وعَرَضَ أنواع المواثيق، وهي: المرجعي، الروائي، والسير ذاتي. ومن خلال هذهِ المواثيق يمكن تحديد النوع، وإيجاد الفوارق بينهم. (هياس، 2001، 20).

ورأت (فدوى طوقان) إنهُ من الأفضل أن يصرّح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر بأن ما يكتبهُ هو سيرة ذاتية، واشترطت وجود هذا العقد في تعريف السيرة الذاتية. كما رأت أن العمل الذي لا يحدث فيهِ تطابق كالسيرة والرواية، والذي قد يخلق خلافاً حول كون النص سيرة ذاتية أم رواية؟ فرأت أن تتعامل مع النص على إنهُ رواية وليس سيرة ذاتية، لكون الكاتب لم يصرّح بذلك.

وعلى الرغم من تأييدها لفكرة الميثاق تركت ملحوظة حول تعريف لوجون وهي (السرد الفني)، فلوجون جعل الكلام نثرياً استعادياً، من دون أن يربطهُ بأي قيد أو شرط، وإذا ما تحققت كل تلك الشروط التي وضعها، وغاب عنها السرد الفني الذي يؤدي وظيفة ربط الأحداث بشكل متسلسل ومنسق، ففي تلك الحالة لا يدخل النص تحت عباءة السيرة الذاتية في شيء، وعلى الرغم من ذلك فإن البناء الفني في السيرة الذاتية لا يعني قولبتها بقالب واحد أو شكل واحد لا يمكن تجاوزهُ، بل غاية ما جاءت بهِ هو لمس خطوط عريضة تجمع بين أشكال السيرة الذاتية المختلفة. (شاكر، 2002، 15-16).

ووضعت (تهاني عبد الفتاح شاكر) تعريفاً للسيرة الذاتية اعتماداً على تعريف لوجون، لكنها أضافت عليهِ بعض التعديلات، فرأت أن السيرة الذاتية هي "حكي استعادي نثري يتسم بالتماسك والتسلسل في سرد الأحداث، يقوم بهِ شخص واقعي عن وجودهِ الخاص، وذلك عندما يركّز على حياتهِ الفردية، وعلى تاريخ شخصيتهِ بصفة خاصة، ويُشترط فيهِ أن يطرح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر، إن ما يكتبهُ هو سيرة ذاتية". (شاكر، 2002، 16).

وكان لـ (محمد الباردي) وجهة نظر في ميثاق لوجون، وتحدّث عن ذلك في خاتمة كتابهِ (عندما تتكلم الذات)، وكان الباردي من النقاد الذين أخذوا موقفاً من ذلك الحدّ، وتوصل "إلى نتيجة مفادها إن هذا التعريف يحتاج إلى تعديل تفرضهُ طبيعة النصوص العربية". (الباردي، 2005، 185)، ووضع تعريفهُ الخاص بعد مناقشة الثغرات التي وقع فيها لوجون، فذكر أن السيرة الذاتية "هي حكي استعادي بأشكال سردية متنوعة يقوم بها شخص واقعي عن وجودهِ الخاص والعام، وذلك عندما يركز على حياتهِ الفردية والجماعية، وعلى تاريخ شخصيتهِ الجزئي أو الكلّي". (الباردي، 2005، 185).

ومن الأدباء والنقاد الذين اعترضوا على ذلك الحدّ هو الدكتور (محمد صابر عبيد)، فقد ذكر أن معظم المهتمين والدارسين لا يجدون شكلاً معيناً يحدد من خلالهِ صياغة السيرة الذاتية، ويرى أن السيرة الذاتية على الرغم من أنّها تقدم كشفاً ذاتياً خالصاً، لكنها في الوقت ذاته تؤدي وظائف أخرى ذات هدف اجتماعي، يدفع شكل السيرة كي يصبح ملتقى مركزهُ كل مكان، ومحيطهُ اللامكان. (عبيد، 2005، 69–70).

أما (حسين مناصرة) فيؤكد أن وجود الميثاق يخلّص القارئ من مأزق تعذر ربط هوية الخطاب الأدبي، لذلك يعمد الكاتب إلى إبرام تلك المعاهدة، ليوفر على القارئ عناء البحث عن الجنس الأدبي الذي يتلقاه. (مناصرة، 2010، 100–101).

وكان للأستاذ (صبري حافظ) رأيهُ في مسألة الميثاق، إذ يرى أن غياب المرأة في كتابة السيرة الذاتية يلغي الحدود والقيود التي تضمن المصداقية والموضوعية، وبدونها يصبح من الصعب خلق الإيهام بواقعية ما يقرأهُ القارئ، وهذا الغياب يَلزمهُ بديل أساسي ينوب عنهُ، ويتولى المهمة نفسها، وهي إعطاء مصداقية وموضوعية، وهو ما يُعرف بالعقد أو الميثاق الذي وضعهُ لوجون، ويرى إن هذا العقد ينوب عن المرآة الغائبة.(حافظ، 2002، 7).

وحين نتحدث عن الميثاق السير ذاتي لابد لنا من التعريج على دراسة (ساميا بابا)، فقد شكّل الميثاق والحد عندها نقطة انطلاق في الجانب التطبيقي، وذكرت ذلك في المقدمة فقالت: "ركزنا على نظرية فيليب لوجون واتخذناها منهجاً سرنا على خطواتهِ في تحليلنا، (..) شرح يطول لما تقدمهُ هذهِ النظرية من أدوات إجرائية تمكّن الباحث والدارس من مقاربة النصوص السير ذاتية". (بابا، 2012، 9)، وكذلك علّلت سبب اختيارها لتلك الرواية التي كانت مبنية على الاستجابة للمعطيات النظرية لمشروع لوجون، فضلاً عن إمكانية الكشف عن مكون السيرة الذاتية فيها. (بابا، 2012، 9).

وتحدثت الدكتورة جولان جودي عن الميثاق ومسألة الصدق في بحثها الموسوم بالسيرة الذاتية والتعالق النصي الإحالي، فذكرت إن "إعلان المؤلف عن ميثاق صريح نصي أو ضمني (خارج نصي) للسيرة الذاتية، إنما ليوصل القارئ إلى التطابق بين أنا المؤلف وأنا السارد وأنا الكائن السيري المتموضع في النص". (جودي، 2017، 111) ، وترى أن إبعاد النص عن كاتبهِ، وعدم الرجوع إلى أعمال الكاتب، ولاسيما المشهورين، منهم أمر غير صحيح، وهذا ما تراجع عنهُ لوجون أيضاً، فقد قال إن سبب العودة إلى أعمال الكاتب لأجل الحكم على نية الكاتب من دون مناقشة

صحة الرواية تاريخياً وحرفياً، لأن الخطاب الأدبي ليس خطاباً تاريخياً، والصدق يكمن في النية، وليس الصدق الذي يعدّ من المستحيل أن يصل إليهِ أي كاتب، وهكذا تفضي دراسة النص السير ذاتي إلى عدم إمكانية الفصل بين النص وكاتبهِ. (جودي، 2017، 113).

وبعد هذا العرض نتفق مع رأي كل من (محمد الباردي) و (تهاني عبد الفتاح شاكر) وما قاما بهِ من تعديلات لتعريف السيرة الذاتية، التي كانت محاولات للوصول إلى تعريف شامل ودقيق للسيرة الذاتية.

ووجود هذا الحدّ/ الميثاق ضروري في الكتابة الأدبية، لكي لا تختلط الأمور لدى الكاتب نفسهُ والقارئ أيضاً.

ونرى أن الأنواع الأدبية جميعها تتميز بطرق كتابة معينة (فلكل مقام مقال)، فالشعر لهُ متطلباتهُ حتى وإن أخذ من النثر، وأصبح لدينا فرعاً منهُ يُعرف بقصيدة النثر، فلا نجد في ذلك بأساً، لوجود أصول في الكتابة لا يمكن أن نتجاوزها، وإذا ما حدث ذلك أصبحت النصوص والآثار الأدبية جميعها لديها الشكل ذاته، وعسر على القارئ فُهمها، وليست السيرة الذاتية فقط التي يجب أن يكون لديها خطوط عريضة يوظفها الكاتب، وعلى القارئ أن يكون على دراية بها، لكي يعرف النوع الذي بين يديهِ ويميزهُ كذلك عن الأنواع الأدبية الباقية. وهذا لا يعني أن تكون الحدود صارمة ولا تسمح بالاستعارة والأخذ من الأنواع الأخرى. لكون الإبداع لا يحتاج لتلك القيود، وقد ذكرنا سابقاً إن القيود والقضبان الحديدية التي تُفرض على الكاتب تضع قلمهُ وفكرهُ داخل سجن لا مكان للأبداع وإظهار الموهبة فيهِ، لكن وجود مثل تلك المواثيق والفواصل تمكّن القارئ من تمييز ما يُقرأ، وتفصل –ولو بشكل بسيط– بين الأنواع الأدبية، ونرى إن ذلك ضروري، شريطة أن لا تتقيد حرية الكاتب.

ونصل في نهاية هذا البحث إلى نتيجة مفادها أن وجود الميثاق السيرذاتي يعدّ الحكَم والفيصل الذي يفصل السيرة الذاتية عن غيرها من الأنواع، لا سيما بعد التداخل الأجناسي بين الأنواع الأدبية، والذي يعد ميزة من ميزات هذا العصر، فضلاً عن المرونة التي تتحلى بها السيرة وتتميز بها خلافاً عن الأنواع الباقية.

المصادر والمراجع

- **الكتب**

- الزبيدي، محمد مرتضى (2001). ***تاج العروس من جواهر القاموس***. (د.ط). (تحقيق: جماعة من المختصين). الكويت: وزارة الارشاد والانباء– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عبيد، محمد صابر (2005). ***تمظهرات التشكل السير ذاتي– قراءة في تجربة محمد القيسي السير الذاتية***. (د.ط). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- النابي، ممدوح فراج (2011). ***رواية السيرة الذاتية في مصر– دراسة في التأصيل والتشكيل***. ط1. مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- شاكر، تهاني عبد الفتاح (2002). ***السيرة الذاتية في الأدب العربي***. ط1. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ماي، جورج (2017). ***السيرة الذاتية***. ط1. (ترجمة: محمد القاضي وعبد الله صولة). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- المبخوت، شكري (1992). ***سيرة الغائب سيرة الآتي***. (د.ط). تونس: دار الجنوب للنشر.
- هياس، خليل شكري (2001). ***سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات***. (د.ط). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- لوجون، فيليب (1994). ***السيرة الذاتية– الميثاق والتاريخ الأدبي***. ط1. (ترجمة: عمر حلّي). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الفارابي، أبو النصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري (1987). ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***. ط4. (تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار). بيروت: دار العلم للملايين.
- الباردي، محمد (2005)، ***عندما تتكلم الذات– السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث***. (د.ط). دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور(1993). ***لسان العرب***. ط3. (تحقيق: اليازجي وآخرون). بيروت: دار صادر.
- القاضي، محمد وآخرون (2010). ***معجم السرديات***. ط1. تونس: دار محمد علي للنشر.

- علوش، سعيد (1985). ***معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة***. ط1. بيروت: دار الكتاب اللبْناني.
- سعيد، جلال الدين (2004). ***معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية***. (د.ط). تونس: دار الجنوب للنشر.
- بابا، ساميا (2012). ***مكوّن السيرة الذاتية***. ط1. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.
- حرب، علي (2005). ***نقد النص***. ط4. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- الرياحي، كمال (2009). ***هكذا تحدث فيليب لوجون***. ط1. (ترجمة: صلاح الدين بوجاه). تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.
- مناصرة، حسين (2010). ***وهج السرد- مقاربات في الخطاب السردي السعودي***. ط1. الأردن: عالم الكتب الحديث.

- الرسائل والأطاريح:

- بو ذراع ومعروف، الهام وسامية (2017). ***السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية- من يوميات مُدرّسة حُرة لزهور أونيسي انموذجاً***. (رسالة ماجستير). الجزائر: كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.

- المجلات والدوريات:

- جودي، جولان حسين (2017). ***السيرة الذاتية والتعالق النصي الإحالي- دراسة في متن توفيق يوسف عواد***. العدد:44. جامعة الكوفة: مجلة مركز دراسات الكوفة.
- حافظ، صبري (2002). ***رقش الذات لا كتابتها- تحولات الاستراتيجيات النصية في السيرة ضمن لغة الذات السير الذاتية والشهادات***. العدد:22. مجلة ألف.
- عبد القادر، زينب عادل (2021). ***الخيال اللغوي تشاكل وابداع***. المجلد:32. العدد:1. العراق: الجمعية العراقية للدراسات التربوية والنفسية.